الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي

رسالة دكتوراه/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الملك سعود/1419هـ
إلهام بنت أحمد بن عبدالعزيز البابطين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

البحث مقسم إلى خمسة فصول؛ الأول: تركيب مجتمع مكة؛ الثاني:الأنشطة التي مارسها أهل مكة في فترة الدراسة؛ الثالث: الأسرة في مكة؛ الرابع: أساليب المعيشة؛ الخامس: المجالس وأساليب الترفيه. وهناك الملاحق توضيحية من خرائط وجداول ومشجرات الأنساب .

لقد حرصت الدراسة على أمور ثلاثة أولها: تقصي كل جوانب الحياة الاجتماعية بمكة. وثانيها: ملاحظة مدى الاستمرار والتغير من خلال المقارنة بما كان سائداً في مجتمع مكة قبل الإسلام. ثم ملاحظة الاستمرار والتغير خلال فترات الدراسة. وثالثها: مدى التأثير الذي أصاب مجتمع مكة، إما نتيجة للتغيرات الاقتصادية، أو لتأثير سكان مكة الوافدين من البلاد الإسلامية المفتوحة، أو التأثر بما كان في المجتمعات الإسلامية الأخرى، وانتقل إلى مجتمع مكة عن طريق وسائط متنوعة ومتعددة.

لقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج، منها:

- إن مجتمع مكة عند ظهور الإسلام مجتمع حضري مستقر لكنه قائم على أساس قبلي وأنه يتكون من ثلاثة عناصر أولها وأهمها: القرشيون فقد كانت لهم السيادة وتمتعوا بعقلية فذة في الإدارة. وإن تقسيم قريش إلى قريش البطاح وقريش الظواهر هو تقسيم اسمي ليس له أهمية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. والتمايز في المكانة الاجتماعية يقوم على عوامل منها الإسهام في إدارة مكة، وكثرة عدد أفراد البطن الواحد، والمال دعامة أساسية في رفع المكانة الاجتماعية إضافة إلى بروز أفراد يجسدون أعلى القيم الاجتماعية مثل الكرم والمروءة ورجاحة العقل والإنصاف في القول والعمل. أما الفئة الثانية فهم الحلفاء وهم من قبائل عربية حالفت قريش وامتزجوا بهم عن طريق الزواج والمشاركة بكل أسباب الحياة. وقد كان من أهم أسباب قدومهم مكة ازدهار الأحوال الاقتصادية فيها. وقد تمتعوا بمنزلة اجتماعية رفيعة يتساوون فيها مع القرشيين إلا أن قريشاً أهل البلد وأصحاب الكلمة والنفوذ فيه. أما الفئة الثالثة فهم الموالي والرقيق ومنزلتهم في المجتمع هي الأدنى بكثير ومارسوا أعمالا مختلفة وأصولهم تعود إلى بعض أقاليم الجزيرة وأفريقيا وفارس والروم.

- من التغيرات الاجتماعية المهمة أن أصبح الكثير من الموالي يحتلون مراكز اجتماعية جيدة وكانت علاقتهم بقريش والعرب علاقة حميمة وأصبح الكثير منهم تجارا وحرفيين مهرة بل أصبحوا أسيادا يملكون الرقيق .
- تنوع الأنشطة التي اشتغل بها أهل مكة من أجل تأمين معيشتهم ومن أهمها العمل بالتجارة فقد تبين أن عدد العاملين بها أقل بقليل من إجمالي عدد العاملين بكل المهن الأخرى كما كانوا الأعلى دخلاً. أما النشاطات التي توازي التجارة وتتفاعل معها فهي العمل بالحرف سواء كانت إنتاجية أو خدمية ويشكل الموالي والرقيق العمود الفقري في النشاطات الحرفية.
- من دراسة الأسرة تبين حدوث متغيرات كثيرة أهمها ما أحدثه الإسلام والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والمؤثرات التي أصابت المجتمع المكي من جرَّاء التفاعل مع بقية أجزاء المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت كما تبين كذلك استمرار بعض العادات والتقاليد مما لا يتعارض مع تعاليم الإسلام وقد عكس ارتفاع المهور توفر السيولة المادية في أيدي الناس كما عكس كثرة أمهات الأولاد شيوع ظاهرة إنجاب الأبناء من الإماء مما ترتب عليه رفع منزلتهن الاجتماعية بحيث أصبحن بحكم الزوجات وما نتج عن ذلك كثرة الأولاد في المجتمع المكي الذين تنتمي أمهاتهم إلى أعراق وثقافات مختلفة مما قوى عملية الانصهار الاجتماعي . بينت الدراسة أن أهل مكة بنوا الرباع منذ فترة مبكرة إلا أنها بالرغم مما عرف عنهم من ثروات كبيرة فلم ينعكس ذلك على مساكنهم فكانت بسيطة ومتشابهة وحدث التغير في الإسلام من حيث التوسع في بناء الدور وفخامتها.
- أساليب المعيشة كانت تتسم بالبساطة وقلة التنوع عند ظهور الإسلام فلم يلحظ رفاه كبير برغم توفر الثروات ولكن حالهم تغير في الإسلام فعرف المطبخ المكي الكثير من الأكلات المتنوعة وهو يعكس ميلهم إلى الرفاهية . أما اللباس فقد شهد أكبر تغيير في أساليب الحياة الاجتماعية فأصبح للمرأة لباس خاص لكل مناسبة.
- أهمية النوادي بالنسبة لمجتمع مكة وقد تطورت في مفاهيمها ومضامينها تأثراً بتغيير وضع مكة الديني والاقتصادي والاجتماعي وأصبحت تسمى مجالس بدلاً من النوادي وتنوعت فمنها ما كان اهتمامه النواحي العلمية واشترك فيه الناس من كل الفئات الاجتماعية وهناك المجالس اتي تقرب في طبيعتها من طبيعة النادي القديم الذي يتسم بالهيبة والجدية ومجالس كانت للغناء والترفيه عن النفوس .

والحمد لله أولاً وآخراً